## الملامح الشكلية العامة لشعر الجواهري

يتميز الجواهري بأسلوب شعري فريد وقدرة فائقة على الصياغة، حيث أجهد نفسه وأتعبها في التمرس بالكلمة، وقرأ كثيرًا، وأُعجب بالذي قرأ وحفظ، فصار ذلك مادة خصبة أضيفت إلى تجربته الغنية، فظهر شعره بهذا الشكل الفريد [1].

وقد كان لتكوينه الثقافي أثره الواضح في أسلوبه المشرق الذي اعتمد في تثقيفه وتجويده على غرر التراث العربي، الذي سرى بروحه وصوره وألفاظه في كثير من قصائده، فاتخذ من هذا التراث مثلاً أعلى في الأسلوب الشعري، دون التورط في أن يكون هذا الاتجاه لديه نوعًا من التقليدية أو المحاكاة بمعناها الرديء الذي تُلغى معه الشخصية أو تُغلق المشاعر عما يحيط بالشاعر ويمس نفسه [2].

ومن الخواص الأسلوبية التي فشت في شعر الجواهري بفعل تأثره بالتراث: المحسنات البديعية، من طباق، وجناس، وحسن تعليل، وحسن تقسيم، وما إلى ذلك [3].

أما موضوعات شعره الغالبة، والتي تتصل بالسياسة والمجتمع، فقد فرضت على شعره كثرة أساليب الطلب، مما يعكس التباين بين ما يريده الشاعر وما يفرضه عليه مجتمعه من ركود وتخلف يقتضيان منه التوجه إليه بالأمر والنهي حينًا، وباللوم والتقريع أحيانًا، وفي أحيان يأتي الطلب على هيئة استفهامات متتالية، منها التقريري ومنها الإنكاري [4].

---

(1) انظر: الجواهري آخر الفحول، ص373.
(2) السابق، ص374.
(3) السابق، ص375
(4) السابق، ص376.

ويأخذ التكرار مكانًا بارزًا في شعر الجواهري، بل كثيرًا ما يصبح التكرار أهم سمة أسلوبية في القصيدة [1]، ومعلوم أن للتكرار وظيفة إبداعية، فالشاعر يصل إليه بعد وضوح ويخرج منه إلى وضوح، فهو يمكنه من مواصلة الإبداع [2].

كما أن التكرار عنصر توازن في القصيدة يعين الشاعر على مواصلة الفعل، فالشاعر لا ينتج قصيدته بيتًا بيتًا، بل يبدعها قسمًا قسمًا، ويمضي فيها على شكل وثبات، في كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعة واحدة، حتى تأتي لحظات الانطفاء أو الخفوت، فيحاول استرجاع ذلك الوضوح بالتكرار [3].

ومما يشيع في شعر الجواهري ـ وخاصة في الرباعيات والقصائد التي أخذت شكل القصص ـ تلك النزعة الحوارية، وتشيع معها ـ تبعًا ـ أنماطٌ لغوية، كحذف الجمل، وحذف عنصر لغوي لدلالة ما سبق، والربط بين الجمل بالفاء وثم، وغير ذلك.

وللجواهري ولعٌ بالتصرف في تضام الجمل داخل الأبيات عن طريق الفصل بين المتلازمين، وغالبًا ما يهدف بهذا الفصل إلى خدمة القافية التي يحملها آخر المتلازمين ورودًا، وهي ظاهرة أسلوبية في شعره نشأت من رصده قافية البيت قبل نظمه في غالب الأحيان.

وجديرٌ بالذكر أنَّ الجواهري ـ مع جودة لغته وقوة أسلوبه وصحة سليقته اللغوية ـ ترد في شعره بصورة نادرة بعض الهنات اللغوية أو ما هو من قبيل الإدلال بقوة اللغة عن طريق الاختراع والارتجال، أو التصرف في نظم الكلام تقديمًا وتأخيرًا على خلاف مقتضى النحو

---

(1) سيأتي بحث التكرار تبعًا للحديث عن وسائل السبك المعجمية.

(2) الجواهري آخر الفحول، ص378.

(3) انظر: الأسس النفسية للإبداع الفني، في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، القاهرة، دار المعارف، 1951م، 235- 238.

مـثلاً، إلا أن هـذا يعد من قبيل النادر جدًّا والذي لا يكاد يظهر وسط هذه الكثرة الكاثرة من شعره متين النسج، جزل العبارة، قوي التركيب.

ويـبدو أن هـذه الهـنات الـنادرة سـوَّغت لبعض الباحثين مؤاخذته على أخطاء طباعية ليـست مـن صـنعه [1]، وعلـى بعـض التوسُّـع الـذي تجيزه اللغة ولا تأباه، وهذا من باب التحامل على الشاعر بالباطل.

فـنجد مثلاً الدكتور محمد عبد العزيز الموافي [2] يخطِّئه في لفظ (مَعِيب) والذي شكل في المطبوع بضم الميم[3]، قائلاً: "ويبدو أن الجواهري يدرك تمامًا الخطأ الذي يقع فيه، ولا يهمه بعـد ذلـك أن يتركـه علـى حاله"[4]، وليست هذه من الأخطاء البلقاء التي يُحاسب عليها الشاعر؛ فهي غلطة مطبعيَّة.

ومـثلها تخطئـته إيـاه في تـشديد النون من لفظ (أَرِن)، بقوله: "مع أن (أرن) على وزن (فَعِـل) لا علـى وزن (أفعـل)، ومـن ثـم فليس من داع لتشديد النون، إلا لضرورة الوزن والقافـية، وجعلـها مـن الـرنين ـ كمـا ذهـب مفـسر الألفاظ في الديوان ـ خطأ!"[5]، ولا ضرورة هنا لتخطئة الشاعر، فمصحح الديوان أخطأ في الشكل وفي تفسيره، وأراد الدكتور الموافي تخطئة الجواهري فأخطأ هو؛ فليس هنا من داعٍ أصلاً لتشديد النون![6] لا وزن، ولا قافية تدعو إليه.

---

(1) وينبغي أن أشير هنا إلى كثرة أخطاء الإملاء والشكل في ديوان الجواهري المطبوع، والتي تتطلب قدرًا من الانتباه عند قراءته.

(2) انظر: الجواهري آخر الفحول/ 392 وما بعدها.

(3) أما في النسخة التي بين يديَّ فهو مضبوط ضبطًا صحيحًا، الأعمال الشعرية الكاملة/ 294.

(4) السابق/ 393.

(5) السابق/ نفسه.

(6) وضـع التـشديد علـى القـوافي المـشددة خطأ؛ لأن التخفيف لازم، انظر: عبث الوليد شرح ديوان البحتريّ، لأبي العلاء المعرِّي، تحقيق محمَّد عبد الله المدني، ط3 الرياض ، دار الرفاعي للنشر ، 1405هـ - 1985م، ص181.

كما يخطئه أيضًا في قوله [1]:

فإن الموت أقصر قيد باعٍ  بأن يغتال فكرًا واعتقادا

بقوله: "ولعلَّ من الأصح أن يقول: (أقصر ... من أن)"[2]، ومعلومٌ أنَّ "حروف الجر ينوب بعضها عن بعض إذا لم يلتبس المعنى"[3]، فلمَ نحجر واسعًا والشعر محل اتساع؟ كما أن الجواهري لم يكن يعجز أن يقول: "منَ ان يغتال فكرا واعتقادا" بوصل همزة القطع من (أن)[4]، بمعنى أنه أتى بالباء عن قصد ووعي، ولعلَّ الشاعر فضَّل الاتِّساع في حرف الجر على الوقوع في رداءة وصل همزة القطع.

ويبلغ التحامل ذروته حين يخطِّئه بقوله: "وكذلك لم يتبع المألوف في قوله من (عقابيل داء):

وربَّتما لاحت على السنِّ ضحكةٌ  له تنفثُ السُّمَّ الزعافَ وتلصِبُ

حيث أدخل (ربَّ) على (ما) النافية"[5]، فلا هذا من عدم اتباع المألوف، ولا هي نافية من الأصل، بل هي زائدة كافة، وزيادة (ما) بعد ربَّ مع عدم كفها عن العمل موصوفة بالقلة [6]، فما لدينا هنا إذن من قبيل الكثير المعروف.

وعلى مستوى الموسيقى في شعر الجواهري نجده حريصًا في غالب شعره على عمود الشعر والشكل القديم للعروض، بما يدخل في ذلك من وحدة القافية التي ساعده عليها طول نفسه، وضخامة معجمه الشعري من الكلمات والتراكيب.

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة/ 429.
(2) الجواهري آخر الفحول/ 393.
(3) مختار الصحاح (م ن ع).
(4) ووصل ألف القطع موصوف بالرداءة عند العلماء بالشعر، انظر: عبث الوليد/ 148.
(5) الجواهري آخر الفحول/ 394.
(6) انظر: شرح ابن عقيل 1/ 34.

لكـنه مع ذلك ورد في شعره تعدد القوافي مع وحدة البحر، تارةً على نظام الموشحات، وأخرى بنظام المقاطع، حيث لكل مقطع قافية.

وعلى مستوى التجديد في الوزن نجده مثلاً في قصيدة (أزف الموعد)[1] يستعمل الرمل بالعـروض والـضرب الـتامَّين (فـاعلاتن)، ونجده في قصيدة (زوربا)[2] وبعض الرباعيات يستعمل بحر الرمل بخمس تفعيلات في البيت، وبقوافٍ متنوعة داخل القصيدة، الأمر الذي يعـني عـدم جموده، وأنَّه قادرٌ على التجديد ومسايرة ما حوله من دعواتٍ إلى التجديد، غير أنـه يفـضِّل العمـودية الـتي رصـدها الخلـيل في الـشعر العربي؛ لأنها تستفزُّ طاقاته، وتبيِّن قدراته، وتقربه من التراث الذي يتنفسه، ألفاظًا، وأسلوبًا، وموسيقى.

(1) الأعمال الشعرية الكاملة/ 721.
(2) الأعمال الشعرية الكاملة/ 919.



obeikandl.com